

رشيد الضعيف: اعترافات جريئة

يصعب على بعض الروائيين العرب الذهاب بعيداً في اعترافات تطال نقائصهم، أو تعرية ذواتهم إلى الدرجة التي قاربها الروائي اللبناني في روايته الجديدة «الواح» الصادرة عن «دار الساقي»

عناية جابر

يكتب الروائي اللبناني رشيد الضعيف (الهدن - 1945) في روايته الجديدة «الواح» (دار الساقي)، بضع مشاهد من حياته، ويعدنا بالمزيد، في بديهية الفكرة القائلة بأن الكتابة إذلال للنفس، وتعرية وإماتة لها: «أَنْ تفضح نفسك إلى هذا الحد المذل، أمر لا يتقبله الذوق دائماً. الحياة بحاجة إلى النظافة والطهر والصفاء حتى يجلو عيشها. إن كشف الغطاء عن الدواخل قد يكون مُقززاً ولا يصلح للأماكن العامة». صاحب «أوكي مع السلامة» و«تصطفل ميريل ستريب» الذي تُرجمت أعماله إلى أكثر من 13 لغة، يعزي نفسه إذن لرغبته في التطهر من غضاضات عالقات في الروح والجسد، تُدرك علاقته الأسرية وعلاقته العاطفية وعلاقته أولاً وأخيراً بنفسه وبما يُظهر ويُظن. يُسمي الضعيف كتابته «الواح» لا «مشاهد» على سبيل المثال، كما لو أنه يرنو إلى ناحية البراءة وإلى نوع من الكتابة المسماة التي



أحياناً، وأحياناً مُستدرَكاً، لم يكن لدينا سبب ما لندّش من تقسيمها إلى مشاهد كثيرة، بل لعل التقسيم أفادها، فلم نر السرد مُسطحاً ومحكوماً بالإطار الزمني للروي، بل لعل التقسيم أفادها والاستدراك والاستعدادات المزاجية جعلت هذا النوع من الاعترافات في إطاره الصحيح. الألواح متوازنية وإن لم تكن متزامنة، وهي تفتح نوافذ سرّية على دواخل الكاتب، يحقّ له استدعاءها ومن ثم توظيفها في المشهد الذي يرتئيه مناسباً. الاستطراد في هذه الاعترافات يعزز مبدأ التأليف أكثر مما يضعفه.

هذه الاعترافات - إن حسنت التسمية - موضوعها الأساس يصبّ في التساؤل الحياتي والوجودي. تساؤل هو في النهاية استنطاق لكلمات معينة (أمي، والدتي) ولبعض الكلمات بالمحكمة البنائية، كالزمن وضرورية لأنها تؤشر إلى طبقة وجهة ومرير ومدينة ومستوى اجتماعي... في محاولة الكاتب التأكيد على أن «الواح» مؤسسة في الدرجة الأولى على كلمات دالة وجوهرية ووظيفية، وهي عنده تشبه صفّ النغمات كما عند بعض الموسيقين الكبار.

يصعب على بعض الروائيين العرب الذهاب بعيداً في اعترافات تطال نقائصهم، أو تعرية ذواتهم إلى الدرجة التي قاربها رشيد الضعيف، سوى أن إصداره موضوع مقاربتنا هنا، نجح في إرساء مفهوم متقدم للاعترافات الجريئة، مغامراً الكاتب معها بالكثير من الأمور التي قد تردت سلباً على بعض القراء، لكن الضعيف أهدانا جرائته تماماً كما يُبني البيت على أعمدة صلبة ومتينة.

يكتب الضعيف في «الواح» مفارقاً إلى حد ما رواياته السابقة، عن الأب الذي لم يُحسن عملاً قام به، عن الأم الجميلة (ياسمين) المؤذية ببراءتها، عن الجّد الذي حبّته بالغناء، عن يوسف، الأخ الأكبر الذي فقد جزءاً من جسده، وعن ندوبه الشخصية جراء قذيفة كادت تطيح بحياته. كما يكتب عن شغفه الأقصى ناتالي الباريسية الحسنة التي هاتفتها من نيويورك: «تعال» فجاءها مشياً على سطح الماء. في قراءتنا للكثير من «الألواح» - المشاهد» التي تبين سرداً متقطعاً

بأثثة بشكل مُسل. يُعطي صورة كاملة عن أغلب العمر لكاتب يتمتع بحيوية هائلة في جعل الهامشي

لم يأت السرد مُسطحاً أو محكوماً بالإطار الزمني للروي، بل خضع للاستعدادات المزاجية

من الأحداث، مفصلاً مُهماً يتوّقف القارئ عنده كما لو أنه مفترق حاسم في مجريات السرد، ويقع على الحافة ما بين الحياة والموت.

توثيق

حسان الزين يروي الحراك المدني من الداخل

زينب حاوي

أسئلة وإشكاليات كثيرة يطرحها صدور كتاب «وما أدراك ما الحراك» (دار الرئيس) للصحافي والكاتب حسان الزين. يوثق الأخير ويسرد زمنياً لمراحل وكواليس الحراك المدني الذي بلغ أوجه في تموز (يوليو) الماضي. ويبدو أن هذه الحركة الشبابية الاعتراضية قد أخدمت، خصوصاً مع بروز قرار حكومي بترحيل النفايات. من بين هذه الأسئلة البديهية هو توقيت صدور الكتاب قبل انقضاء هذا الحراك نهائياً عن المشهد اللبناني ومرور زمن عليه كي تمكن مقاربتة بشكل أشمل وأوسع. لكن خلال قراءة صفحات هذا الكتاب الذي يقع في 100 صفحة، يدرك المرء سريعاً أن ما تم تدوينه، يشبه إلى حد بعيد القصصات، أو الملاحظات المدونة سريعاً وبطريقة برقية، لتوثق اللحظة فقط قبل انقضاء الزمن عليها. هكذا، أتى كتاب حسان الزين برقباً في تكتيفه لمرحلة امتدت من آب (أغسطس) الماضي وصولاً إلى نهايات أيلول (سبتمبر)، أي فترة ولادة هذا الحراك ومرآحله تخبطه وكسره لحواجز عدّة، وصولاً إلى تضعفه بشكل دراماتيكي. اعتمد هذا الكتاب بشكل أساس على ملاحظات وتدوينات الزين الذي كان جزءاً أساسياً من هذا الحراك

الشعبي، وعلى ما نشر وقتها على موقع «تغريدة» الذي يعدّ الصحافي اللبناني أحد مؤسسيه. في هذا الكتاب، أنتقل الزين من كونه أحد نشطاء هذا الحراك، إلى ممارسة العمل الصحافي الذي أخرج كواليس وتفصيل الاجتماعات السرية والعلنية لمجموعات الحراك، كاشفاً تفاصيل عدّة غائبة عن الرأي العام اللبناني. بالتوازي مع هذا الفعل، خرجت أصوات مقابلة تدم هذا «الفضح» وتعتبر أن من ليس من حق الزين كتابة ما كتبه، ف«المجالس بالأمانات».

ينطلق «وما أدراك ما الحراك» من ليل 22 آب (أغسطس)، تلك الليلة الدموية التي جرى فيها الاعتداء على المتظاهرين في ساحة «رياض الصلح» بالرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع، ويمهد من خلالها للدخول إلى هيكلية الحراك وبدء تشكيله، وانضمام مجموعات أخرى إليه. يتوقف الزين بشكل لافت، عند التفوّذ والأناثية اللذين كانا يحكمان تحرك «طلعت ربحتكم» الذي يعتبر نواة هذا الحراك وصاحب الفضل في انطلاقه وتوجيه الأنظار إلى أزمة النفايات التي ما زالت تضرب البلاد والعباد. يسرد تفاصيل حصلت في اجتماعات عدة مع هذه المجموعة ويسمّيهم بالاسماء. مقابل ذلك، دخلت مجموعة جديدة على هذا الحراك هي «بدنا نحاسب»

ذات التوجه اليساري. ويبدو أن ذلك لم يعجب جماعة «طلعت ربحتكم» بسبب الهوية الإيديولوجية بين المجموعتين. ويظهر أن الزين مستاء من «بدنا نحاسب»، أو ما أسماه

دخوله «بدنا نحاسب» ذات التوجه اليساري أزعج جماعة «طلعت ربحتكم»

«فائض اليسار»، إذ يعتبر أنه لم يجدد منذ زمن بعيد لا خطاباته ولا أدواته. ولعل أبرز نقد سجله الصحافي اللبناني هنا، عندما أشار بشكل واضح إلى تحرك «زيتونة باي» في 12 أيلول (سبتمبر) الماضي. للفت النظر إلى الأملاك البحرية. رأى الزين في هذه الحركة التي قام



بها ما أسماه «ختيار اليسار» أنها «شعبوية» و«تستفز فئة، ونياراً مذهبياً» (المستقبل)، وأن محاكمة الفاسدين يجب أن تقوم بها الدولة ولا يصار إلى «محاكمات عسكرية وشعبوية».

وفيما شريط الأحداث التي حصلت في المدة القريبة المنصرمة ما زال مثلاً في أذهان اللبنانيين، لا سيما أولئك الذي تابَعوا لحظة بلحظة هذا الحراك وأملوا في أن يحقق أهدافه، يستعيد الزين هذا الشريط بشكل برقي أيضاً عبر إعادة التذكير بأبرز المواقف السياسية والإشكالية التي حصلت، لا سيما تلك التي اتخذت منحى مذهبياً ضيقاً بغية حصار الحراك وإفراغه من مضمونه، أو تلك التي خرجت من الحراك نفسه عبر تشكيل مجموعات بالمفرق زهبت أهدافها في اتجاهات التسييس وإثارة البلبلة والانقسام بين الجمهور وأفراد الحراك.

ورغم قتامة الأحداث التي حصلت، وتضعف الحراك واختلاف اتجاهاته، وانفراط عقده في ما بعد، إلا أن الزين يختم كتابه ببارقة أمل، مشيراً إلى الصورة التي رسا عليها الحراك من خلال خروجه من الزوارب الضيقة والمناطقية، وإعادة اعتبار إلى «الدولة والمواطنة»، فسجّل له «شرف المحاولة» على الأقل.